# دور الأستاذ في إنجاح عملية التعليم

الأستاذة: فوزية عساسلة
قسم اللغة و الأدب العربي
جامعة 8 ماي 1945– قالمة

**الملخـــص:**

عرفت اللسانيـــات الحديثة عدة فـــروع، تناول كل فرع منها جانبـــا من جوانب اللغة، ومنها اللسانيات التطبيقية التي تعالج موضوع التعليمية، حيث أفاض الدارسون فيها حتى ظن أنه خير ما عالجت اللسانيات على الإطلاق. أردنا في هذا المقال التطرق إلى موضوع التعليم، خاصة الأستاذ لعدّه الركيزة الأساسية فيه، والإجابة عن بعض الأسئلة أهمها: ما هي المؤهلات التي وجب توفرها في الأستاذ حتى يؤدي المهمة الموكلة إليه؟ كيف يمكنه التعامل مع طلبته ليرغبهم في المادة المقدمة، ويمنع أو يقلل من التسرّب نحو الخارج؟ هل من واجبه الالتزام بكل القوانين البيداغوجية حتى يكون ناجحا، أم لشخصيته دور في كسب الرهان؟ هل يكمن الإشكال في البرامج المقررة، أم في كيفية تخطيطه لها؟

## مقدمـــة:

لإنجاح رسالة التعليم وجب الاهتمام برسم السبل الفعّالة سواء على مستوى القسم أو الأستاذ أو الطالب. وبعدّ الأستاذ ركيزة أساسية في هذه العملية لقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: كلكم راعٍ وكل راعٍ مسئول عن رعيته" وجب الاهتمام به، ورسم السبيل القويم له. سنحاول خلال بحثنا هذا الإجابة عن أسئلة ظلت تشغل بالنا وهي كالآتي:

– ما هي المؤهلات التي يجب توفرها في الأستاذ حتى يؤدي مهمته التعليمية على أكمل وجه؟ كيف يمكنه التعامل مع طلبته، ليرغّبهم في المادة المقدمة؟ هل عليه أن يطبق القوانين المدرسية، حتى يكون ناجحا في هذا المجال، أم أن لشخصيته دورا فعالا في كسب هذا الرهان؟ هل يمكنه أن يمنع التسرّب المدرســـي؟ أو يقلل منه؟ هل يكمن الإشكال في البرامـــج المقررة أم في كيفية التخطيط لها؟

جعلتنا هذه الأسئلة نبحث في تراثنا علّنا نجد الإجابة الشافية ، فعثرنا على زاد وفير، انتقينا منه نماذج نضنها كفيلة بالإجابة على كل المشاغل التي طرحناها: كابن المقفع وابن رشيق وابن خلدون؛ إذ اهتم هؤلاء بقضية التعليم مفصحين عن الشروط التي وجب توفرها في المعلّم، وكيف يمكنه التعامل مع المقرر، فاتخذناهم مدارس نسير على نهجهم، محاولين دعم ذلك كله بما توصّل إليه باحثو علم النفس وخبراء التربية والتعليم في عصرنا الحديث، ضاربين لكل ذلك أمثلة من واقع مدارسنا.

**1- مدرسة ابن المقفـــع:** وجدنا في كتاب البيان والتبيين ما يشفي غليلنا في مجال التعليم، وانتقينا نصا تناول فيه ابن المقفع موضوع البلاغة وشروطها، وينبغي على كل أستاذ أن يعرف هذه الشروط ويطبقها حتى يتمكن من أداء مهمته كما فرضها تعالى شأنه ووصّى بها نبيه الكريم يقول: " **البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة: فمنها ما يكون في السكوت، ومنهـــا ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون فـــي الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا... ومنهـــا ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا... وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ... وقيل له: فإن ملّ السامع الإطالة؟ قال: إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم ...**"[1].

يحيلنا النص إلى نقاط عديدة، تهم الأستاذ أولا، وكأن ابن المقفع يضع إصبعه على مواطن الألم في عملية التعليم، إن هو لمسها أنار الدرب وأوضح الهدف. فهذه النقاط هي بالضبط ما يجب توفره في الأستاذ حتى يملك قلوب الطلبة، ويحببهم في المادة المقدمة، ويرغّبهم في الاجتهاد وربما التفوق والإبداع. وهي كما يلي: (السكوت، والاستماع، والإشارة، والحديث، والجواب، والتنويع، والوضوح، والمقام). وسنقوم فيما يلي بشرح كل نقطة على حدة:

أ- **السكـــوت:** سكوت الأستاذ من حين إلى آخر لا بد منه عند ابن المقفع، وهذا إما للفصل بين أقسام الدرس حتى لا يختلط الأمر على الطلبة، أو إعطاء الفرصة لهم كي يسألوا ويستفسروا عمّا غمُض؛ لأن طرح الأسئلة

في حينها يعطي الأستاذ فرصة التعرف على درجة استيعاب الطلبة ما يقوله، ويمكّنهم من معرفة الأجوبة قبل الانتقال إلى نقاط أخرى؛ مثل إلقاء أستاذ الأدب الجاهلي درسا الشعراء الجاهليين، وتطرقه لقضية الانتحال، وذكره لمن تكلموا فيها ي العصر الحديث كطه حسين. فعليه أن يسكت فترة بين العنصر والآخر حتى يتمكن الطلبة من استيعاب العنصر الأول، وتحضير أذهانهم للعنصر الثاني منه، وربما خطر لطالب أن يسأل عن مفهوم الانتحال، لأنه مصطلح جديد بالنسبة إليه، فلا يمكن للأستاذ أن ينتقل إلى غيره من النقاط حتى يشرح للطالب ما معنى الانتحال في اللغة، وكيف استُخدم مثلا عند طه حسين؛ أي الإضافة والإنقاص في بعض القصائد الجاهلية، كنسيان الروّاة جزء من أجزاء بيت ما في القصيدة، فيلجأون إلى إكمالها حسب أساليبهم الخاصة بما يتماشى والبحر والقافية، لكن الناقد المتمرّس يمكنه معرفة ما هو أصلي في النص وما أضيف إليه نتيجة ظروف مختلفة. وربما خصص الأستاذة فترة من زمن الحصة لشرح هذه القضية، وربما ذكر نماذج من التراث العربي، لأن الطالب لا يمكنه الانتقال بذهنه إلى التطبيق دون أن يفهم الجانب النظري من الدرس. وربما طرح الأستاذ علـــى الطلبة أسئلة لينظر إن كانـــوا قد فهموا هذا القسم من الدرس أم لا؟ وربما سكت لفترة حتى يستدركوا ما فاتهم من المعلومات فيثبتوها، لأن البرامج التعليمية مرتبطة بعضها ببعض، ولا يمكن للطالب أن يفهم درسا تاليا دون أن يستوعب الدرس الذي قبله.

**ب- الاستمـــاع:** يوجب ابن المقفع توفر هذا العنصر لدى المتكلم (الأستاذ)، لأن التكلّم دون الاستماع لما يقال، يجعل صاحب الرسالة خارج

نظام التواصل الذي تحدث عنه رومان جاكبسون[2]، وتكون العملية ذات طرف واحد، ومن ثم لا نجاح للرسالة التعليمية، ولا وصول للإبلاغ الذي هو هدف الإنسان قبل كل شيء. ومثاله: تحدث الأستاذ عن أجهزة التواصل الحديثة، فلا بد أن يترك مجالا للطلبة حتى يناقشوا هذا الموضوع ، فيستمع إليهم، ويشعرهم بأنهم يأتون بجديد لا يعرفه، فيشجعهم على طرح ما في أذهانهم، وإبداء آرائهم، والتناقش فيما بينهم، وكأن كلا منهم رئيس في الحصة. بعد التأكد مما تحمله أذهان هؤلاء، يعطيهم الأستاذ ما هو أفضل، ليضيفوه إلـــى ما يعرفـــون، فيصححوا مفاهيمهم. كقوله مثلا: إن أجهزة الاتصال كالتلفاز والمذياع وغيرهما وسائل مهمة في حياة المجتمع، لكن الحذر واجب، لأنها سلاح ذو حدين. فكما يمكنها النفع ، فبإمكانها الضرر، وعلى الطالب أن يعرف ما يعود عليه بالفائدة، ويترك ما يضرّه، وعليه أيضا نقد ما فيها بحكمة وفطنة. فسكوت الأستاذ لفترة من الزمن ليس عيبا على الإطلاق، بل هو فرصة جيدة للطالب حتى يعبّر ويتعلم من أخطائه، ويحس بالثقة في نفسه.

**ج- الإشـــارة:** عدّها ابن المقفع وسيلة مهمة للإبلاغ؛ على الأستاذ أن يشير إلى مراجع تساعد الطلبة على التوسع في الدرس المقدم إليهم؛ كالأنترنيت، والاستماع لمحاضرات الملتقيات الخاصة بمجال تمرنهم، ومكتبات داخل معهدهم أو خارجه، فالوقت المحدد للحصة الواحدة لا يكفي للإسهاب في كل الموضوعات، فإشارة الأستاذ أمر يدفع الطلبة إلى توسيع دائرة العلم وإخراجها من مقاعد الدراسة إلى ما هو أوسع، أو يعود بهم إلى دروس سابقة ومواد أخرى لها صلة وطيدة بالدرس المقدم، فيكون للطالب

الفرصة أكثر في الربط بين مختلف المواد المقررة، ولا يتيه ويشرد ذهنه بين هاته وتلك. إضافة إلى أن الأستاذ الذي يتحرك باستمرار، مراقبا طلبته، ملقيا نظرات على كراريسهم، محيلا إياهم إلى دروس سابقة ليتصفّحوها، أمر يدفعهم إلى الانتباه والتركيز أكثر، كما يردعهم عن الاهتمام بغير الدرس. فهناك " مجموعة من التلاميذ يعجزون عن اللحاق ببقية زملائهم في تحصيل واستيعاب المقررات الدراسية، وكثيرا ما تتحول تلك المجموعة – لدوافع شتى– إلى مصدر شغب وإزعاج للمعلم وللمدرسة ككل، مما يسبب اضطرابا في العملية التعليمية. وذلك لما يعانيه المتأخرون دراسيا من مشاعر النقص وعدم الكفاءة، والشعور بالعجز عن التحصيل الدراسي في مستوى تحصيل رفاقهم، فيحاولون التعبير عن هذه المشاعر السلبية بالسلوك العدواني، والغياب، والهروب من المدرسة، أو الانتماء إلى جماعات الأشرار ..." [3].

نعلق على هذا المثال، لنقول إن للأستاذ دورا كبيرا في احتواء هذه الفئة من الطلبة والسيطرة عليهم، لأنهم مختلفون من حيث إمكاناتهم المادية والنفسية والجسمية والاجتماعية، ولا بد له مراعاة كل ذلك، ومحاولة التوفيق بين جلّ الطلبة إن لم نقل كلهم، وخلق جو من التعاون والتآلف بينهم، وربما ساعد بعضهم بعضا، وتمكنوا من تحمل المسؤولية مع أستاذهم، فاجتمعوا كقوة واحدة يدرسون معا، ويطالعون ويبحثون، ويكتشفون ويبدعون، ويجعلون من مقاعد الدراسة مكانا يتشوقون إليه ولا ينفرون منه، والأستاذ في كل هذا موجه ومرشد وقدوة، فهو المصحح لأخطائهم، والمنبه إلى الأخطار المحيطة بهم، فينمي فيهم روح البحث والمثابة، والتميز، والنجاح، وتحدي الصعاب، ونيل الأهداف دون كلل أو ممل. فالأستاذ في هذه الحال بمثابة المرشد الذي

يوجه الطلبة إلى أهدافهم من الطريق الصحيح، فإشاراته مهمة لا غنى عنها، ولا يمكن لشيء أن يعوّض مكان الأستاذ مهما تبلغ التكنولوجيا من تطور.

**د- التحـــدث:** إن تبادل أطراف الحديث الفعّال مع الطلبة مهم للغاية، لأن ظن الطالب دائما هو ابتعاد الأستاذ عنه. فتقرّبه منه وإبعاد العنف عنه، يُرجع للطالب ثقته بنفسه، ويحمّسه إلى تقليد أستاذه، الذي ما هو إلا طالب جاد، ومثابر، وطموح إلى النجاح الفعّال، ولا بد للطالب أن يسلك طريقه، وينحو نحوه، ويحاول الفوز دون أن يخشى الفضل أو العثرات القليلة، بل يحاول جاهدا تجاوزها والتفوق عليها بعزم وإصرار، هدفه الوحيد الوصول إلى ما يصبو إليه: من تفوق، ورفع لمستواه عن كل ما يوقعه في الهاوية، ومثال ذلك: تقسيم الأستاذ الحصة إلى عدة مراحل، فكلما انتقل من مرحلة إلى أخرى، توجه إلى الطلبة ليخرج بهم إلى موضوع يهمهم: كالنصيحة؛ أي الابتعاد عن الرذائل، وتحسين السلوك، وإعطائهم صورة عن المستقبل، وكيفية النجاح في حياتهم العادية والدراسية. فالتفوق والنجاح في السنة الحالية يدفعهم إلى النجاح فيما بعدها من السنوات، وأن مستقبلهم سيكون زاهرا، وأن تخصصهم سيحملهم إلى العمل في مناصب مهمة: كركوب الصواريخ لترغيبهم في الاهتمام بالعمليات الحسابية، أو إلقاء محاضرات مهمة لكونهم أساتذة مشهورين، وكتابا مغمورين، ما يترتب عليه اهتمامهم بتحسين لغتهم، والابتعاد عن الأخطاء التي تعيب أساليبهم ، وعليهم المداومة على القراءة للكتب رفيعة المستوى، كما سيكونون أمهات وآباء، مما يحببهم في تعلم السلوك الحسن، والتحلي بالصفات الحميدة، ليكونوا قدوة فيما بعد،

وتشجيع الأستاذ إياهم على مواصلة الدرب باجتهاد ورغبة، دون أن يخشوا الصعاب. هذا الحديث يرسخ – لا محالة – في أذهانهم لأنهم في فترة التعلم.

**هـــ– الاحتجـــاج:** التعليم العالي صراط علمي لا يعترف بالعشوائية، فالأستاذ الناجح يدرب طلبته على التسلّح بالحجة والمنهج، كي يبلغوا مرماهم؛ أي المساهمة في دفع عجلة التعليم إلى الأمام، فيكونوا في المقدمة: يناقشون ويحاورون ويثبتون نجاحاتهم في القسم أولا، والامتحان ثانيا، والعالم أجمع، لأنهم قوّاد المجتمع. من أجل ذلك لا بد للأستاذ أن يكون في مستوى هذا التحدي، ويكون قدوة داخل القسم من خلال أسئلته البنّاءة، وأجوبته الموثقة بالحجة. ومثاله دفع الطلبة إلى القراءة المتواصلة للكتب المهمة، ليكوّنوا ثقافة واسعة، ويجيبوا على كل سؤال يخطر ببالهم، فلا يكون اعتمادهم على الأستاذ فحسب، بل يكون لهم الدور الفعّال في عملية التعلّم. وإن كان الأستاذ هو الركيزة الأساسية في هذه العملية، إلا أن نصائحه للطلبة لا غنى غنها، فإن هم تسلحوا بالعلم الوافر، فلا يخشون من الأسئلة بعد ذلك. كما أن الأستـــاذ إذا قدّم الدرس فلا بد أن يكون منطقيا فـــي كل ما يقوله، ولا بد أن يحترز من الخطأ الذي يقلل من قيمته أمام طلبته، ولا بد أن يحضّر الدرس جيدا قبل الحصة، حتى يتجنب الإحراج أمامهم، وأخطاؤه المتكررة، توقعه في مشاكل عديدة، وتنقص من ثقة طلبته به، فالأستاذ الجيد هو من يحسن التعامل معهم، وإن حصل الوقوع في الغلط، فلا يحبطهم، بل يعدهم بالبحث وإياهم من أجل هدف أسمى هو العلم النافع، فالحصول على الأجوبة الجاهزة، يعلّم الطلبة الكسل والتواكل، ويدني مستواهم التعليمي، ويسهم في تأخر عجلة التعليم. إضافة إلى أن نجاح الأستاذ يكمن في تقديم

المعلومات الصحيحة لطلبته استنادا إلى علم صحيح، فيدلهم على المصادر التي نقل منها معلوماته، ويكون أمينا في عمله، ولا يدّعي معرفة كل شيء، بل يعلّمهم أن الإنسان ناقص بطبعه، والبحث المتواصل يدفعه إلى الكمال.

**و- الجـــواب:** على الأستاذ أن يكون متسلحا بعلم واسع كي يجيب عما يستغلق لطلبته، الذين يرون فيه القدوة والمثل الأعلى، وما دام الهدف الأول للتعليم تلقين الطلبة المناهج العلمية للوصول إلى الحقيقة، فعلى الأستاذ أن يقدم لهم الأجوبة النافعة الشافية حينا، ويدفعهم دفعا مشجعا إلى البحث في الكتب مختلفة المعارف أحيانا أخرى، كي يتعلموا البحث الجاد الذي يرضي تطلعاتهم، فيكون بذلك قد ضرب عصفورين بحجر واحد: تنمية روح البحث والاكتشاف فيهم أولا، والاعتماد على الذات في قطف الثمار ثانيا. ومثاله: سؤال أحد الطلبة عن أصل الشعب الجزائري؛ إن كان عربيا أم أمازيغيا؟ فيحتار الأستاذ في الإجابة الدقيقة عن هذا السؤال، وربما يأخذ الجواب منه وقتا يتجاوز ما حدده للحصة من زمن، فيفسد البرنامج الذي رسمه لدرسه، والحل هو إحالـــة الطلبة إلى كتب متخصصة في التاريـــخ، مثل: كتـــاب "المقدمـــة " لابن خلدون وغيره، ولا سيما الجزء الذي اهتم فيه بتاريخ المغرب العربي، فيكون الأستاذ قد وجّه الطلبة إلى مراجع يمكنهم الاستفادة منها والإجابة عن تساؤلاتهم، وربما عرفوا أكثر مما سيفيدهم به في وقت ضيق. وربح الوقت المخصص للدرس في تفسير موضوعات أخرى أهم، وحكمة الأستاذ مهمة جدا في هذا الإطار، إذ أجوبته المقدمة والموفية للغرض لا تعطي الفرصة لإثارة الشغب داخل القسم، وتفويت الفائدة، وربما أراد الطلبة المشاغبون الخروج عن الموضوع بطرح أسئلة تعجيزية لإضاعة

الوقت فيما لا يجدي نفعا، لذا على الأستاذ أن ينتبه إلى هذا الموضوع، ويصرفهم بلطف إلى ماهو أهم.

**ز- التنويـــع:** إن في تنويع الأستاذ لأسلوبه بين الشعر والحكم والقصص التاريخية التي تتعلق بالدرس، أمر يدفع الملل عن الطلبة، ويحدد نشاطهم، وينمـــي خيالهم، ويرفع من مستواهم العلمـــي. وتكرار هـــذه الموضوعات يرسخ – لا محالة – في أذهانهم؛ لحبهم إياها، وإعجابهم بها، فيقلدوها ويبتعدوا بأساليبهم عن السذاجة والركاكة. ومثال ذلك ما جاء على لسان الرشيد، حين دفع بابنه "محمد الأمين" إلى أحد المدرسين فقال: "يا أحمرُ إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مُهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصيّرْ يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واحبة. كن له بحيث وضعك أمير المؤمنين: أقرئه القرآن الكريم، وعرّفه الأخبار، وروّه السُّنن، وبصّره بمواقع الكلام وبَدْئِه"[4]. ينبّهنا هذا النص إلى أهمية قراءة القرآن وحفظه، لكنه غير كاف، بل لا بد من تدعيمه برواية الأشعار؛ لمقارنة لغة الشعر بلغة القرآن الكريم، ومعرفة أخبار السلف: كيفية عيشهم وتعاملهم فيما بينهم، وهو ما يسمى فـــي أيامنا بـــ " التراث الشعبي"؛ إذ إن معرفته تربط الطالب بماضيه، كما أن لمعرفة السنة النبوية تفسير لما جاء في المصحف من إجمال وتحديد ...إلخ، إضافة إلى معرفة صفات البليغ من حسن ابتداء وحسن تخلّص أمر لا بد منه، ومعرفة اللغة وقواعدها شيء لا غنى عنه في كل علم.

كما نجد لابن قتيبة نصا في مقدمة كتابه " أدب الكاتب " ما يدعم هذا الموضوع يقول: " **لابـــد [ لكل واحد] من النظر في جُمل الفقه، ومعرفة أصوله من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وصحابته – رضوان**

**الله عنهم-، ولا بد له – مع ذلك- من دراسة أخبار الناس، وحِفظ عيون الحديث؛ ليدخلها في تضاعيف سطوره: متمثلا إذا كتب، و[ واصلا] بها كلامه إذا حاور**"[5].

ومحتـــوى هذا النص: أن من ضرورات الحياة معرفة الإنسان لعلوم كثيرة: من حديث شريف، وأخبار وغيرها بغية تدعيم كلامه بها، لأن الكلام دون أدلة وبراهين علية ومنطقية وتاريخية كالفراغ. ومنه فالأستاذ والطالب على حد سواء كل بحاجة إلى تنويع كلامه بشتى العلوم والاختصاصات، حتى لا يكون كلامه تافها، وبما أن الأستاذ قدوة لطلبته فعليه أن يُدخل في تضاعيف كلامه شيئا من الشعر، وقطع نثرية من الخطب المشهورة، وأحاديث نافعة، وأمثالا وحكما قوية ...إلخ، فيتعلمها الطالب ويحذو طريق أستاذه ويعلّمها غيره والحصيلة جيل ملئ السنابل.

ح- **الوضـــوح**: لا يتسنى للأستاذ إبلاغ رسالته دون وضوح؛ إذ كيف يفتح كل مغلق، ويدفع كل غموض دون تفسير وتحليل وإيضاح؟ فإذا كان دور الطالب البحث وتحضير الدروس، فإن دور الأستاذ يتجلى في تذليل الصعاب وهداية الطلبة إلـــى سبل النجاح. لذا وجب أن تكون دروسه واضحة لا غموض فيهـــا؛ سواء تعلّق الأمر بالأسلوب الذي يطرح به أفكـــاره، أو الأهداف المرجوة من وراء المادة المقدمة، وهذا لا يكـــون إلا لمن أوتي موهبة وحسا مرهفا، ورغبة ملحّة في التعليم.

ومثاله خوف الطلبة من بعض المواد لصعوبتها أو بعدها عن رغباتهم وميولهم، ودور الأستاذ مهم هنا، إذ الموهبة سبيل لنجاحه، فيقرّب المادة من

طلبته، ويبسّطها ويضرب أمثلة مشوّقة من الواقع، ويدخل أذهانهم من أقرب الطرق، فينطلق بهم من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركّب؛ لأن استدراجهم نحو الأصعب مهمة غير سهلة، وعليه أن يبذل قصارى جهده في تذليل الصعاب، وتدريب الطلبة علـــى مواجهة ما لا يحبون، ليصلوا إلـــى ما يشتهون. ومثال ذلك أن الوارد على ألسنة تلاميذ السنة النهائية، شعبة العلوم الدقيقة، صعوبة موضوع الدوال، وأجد نموذجا من الأساتذة الذين ذللوها، ودرّبوا طلبتهم على الشجاعة والمواجهة، ونموا فيهم روح البحث والتحليل، فزادوا شهيتهم حين طلب منهم – برفق مرغّب –: تغدّوا بدالة، وتعشوا دالة، وناموا وعلى وسادتكم دالة، فتبع الطلبة نصيحة أستاذهم في الحل، فأصبحت الدوال رفيقهم الدائم، فدفعهم تشجيعه على تحليلها باستمرار، فأضحت مأكولات شهية، لا يفوّتون الفرصة إلا واجتمعوا حولها، وجلسوا على كرسي ليرتاحوا وهي بين أيديهم، وكأنهم لا يمكنهم الاستغناء عنها، هذا هو النموذج الحق للأساتذة الناجحين، الذين يولّدون طلبة ناجحين أيضا، وما أحوج مدارسنا إلى هؤلاء.

**ي– المقـــام:** يسهم الأستاذ بفعالية في بلوغ الطالب أعلى مراتب المعرفة، وفي المقابل هو مسئول عن رعايته النفسية والتربوية، وهي مهمة صعبة توجب على الأستاذ استعمال الأسلوب المناسب في المقام المناسب؛ فإذا خرج الطلبة عن حدود الاحترام والأدب مال الأستاذ إلى أسلوب يمنعهم من التمرد وخلق الفوضى داخل حجرات الدرس. ولا بد له من اتخاذ الأسلوب الذكي الذي يعود بهم إلى الصواب، دون أن يخرجهم من قاعات

الدرس ليلتفتوا إلى ما هو أخطر (الشارع)، ومسؤولية الأستاذ تزداد حدة حينما يعلم أنه مسئول كل المسؤولية عن هذا المصير.

وإذا جمعنا كل ما سبق من وسائل مساهمة في إنجاح عملية التعليم، التي تحدث عنها ابن المقفع، فإن خبراء التعليم في العصر الحديث، قد أجملوها في شروط الدرس الناجح والمتمثلة في النقاط التالية:

أ- ضرورة تحضير [الأستاذ للدرس] ذهنيا وكتابيا قبل موعده. وهذا ما يتيح له الفرصة للاستعداد وتنفيذ خطته التي رسمها أولا، والبرنامج المقرر ثانيا.

ب- بـــدأ [ الدرس] بتمهيد طيب، يثير اهتمام [ المتعلمين]، ويشوقهم إلـــى ما يريد [المعلم] قوله. والأستاذ الجيد هو من يستطيع استقطاب الطلبة جميعهم بشتى مستوياتهم (المادية، والفكرية، والاجتماعية...إلخ) .

ج- تلوين [المعلم] صوته ارتفاعا وانخفاضا، بل سكوتا أحيانا، وذلك حسبما يتطلبه الموقف التعليمي. لأن الصوت المنخفض طوال الحصة يتيح فرصة النوم للطلبة أحيانا، فيخلقوا الفوضى نتيجة الملل وعدم التركيز أحيانا أخرى. كما أن الصوت المرتفع طوالها يبعث الخوف في قلوبهم، وظن الظنون المختلفة بأستاذهم (مستبد، ومغرور ...إلخ). لكن تنويع الصوت بين هذا وذاك يدفع عن الطلبة الملل، ويثير اهتمامهم من حين إلى حين ن خاصة عند شرود أذهانهم نحو موضوعات أخرى. وبعدّ الصوت أحد المنبهات التي يتبعها الطلبة فقد وجب إعطاؤه حقه من لدن الأستاذ.

د- التوقف أحيانا لإثارة نوع من الحوار والمناقشة والاستفسار، لأن مثل هذا الأسلوب يعيد للطلاب نشاطهم، وشرود أذهانهم.

هـــ- مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب، ويعلّق أحد الأساتذة على هذا الموضوع بقوله: يجب ألا ننسى أن [الطالب] المتأخر دراسيا، يجب النظر إليه على أنه [طالب] مثل غيره، [فهو] يحاول أن يحقق ذاته، ويشبع حاجاته وأهدافه، لكن حسب قدراته وإمكاناته الأسرية والاجتماعيـــة والاقتصادية، وما يتلقاه من رعاية وتوجيه واهتمام"[6]، ويثير هذا النص قضية الطلبة المشاغبين؛ حيث إن بعضهم يملكون من الذكاء والفطنة ما يؤهلهم إلى النجاح والتفوق، لكن ظروفهم المادية والاجتماعية، وقلة الاهتمام بهم ورعايتهم يقلل من عزيمتهم، ويدفعهم إلى التوجه نحو مجالات أخرى، فيبتعدون عن الدراسة، وربما توجهوا إلى العمل خارج مقاعد الدراسة، مما يقلل من وقتهم المخصص لها، فينقص بدوره من جهودهم ونجاحاتهم.

و- ضرورة التأكد من فهم الطلاب لكل فكرة قبل الانتقال إلى غيرها أمر مهم جدا، لأن الانتقال بهم دون الانتباه إلى استيعابهم يعود إلى الأستاذ وحده، لأنه المسيّر للحصة، والمسئول عن طلبته.

ز- تحسين [الدرس] بالدعابة والفكاهة المنشطة للطلاب؛ بحيث تكون الدعابة مرتبطة بموضوع [الدرس][7]. ويجب انتباه الأستاذ إلى أن الدعابة التي تخرج بالطلبة عن الموضوع، تشتت أفكارهم، فلا يفرّقون بينها وبين الدرس ويعتبرون الأمر واحد، فاختلاط المعلومات لديهم يبعدهم عن الهدف المنشود. في حين أن الدعابة التي تدعّم الدرس وتقويه تسهم في تفسيره وبسطه هي المقصودة في هذا العنصر.

ومن بين الخبراء المتخصصين في هذا المجال " كليم "[8] الذي أجرى دراسة على ثلاثة آلاف تلميذ، لمعرفة رأي التلاميذ في مدرّسيهم، وقد قام

سيد محمد خير وزميله بتلخيص نتائجها، وأورداها في كتابهما[9]، وذكرا أنها تتلخّص في أربع صفات:

أ- الشرح المنظم للدرس يمكّن الطالب من استيعابه بسهولة. لأن خلط العناصر يؤدي به إلى الفهم الخاطئ، ومراجعة الطالب لدروسه تكون مفيدة إذا كانت الدروس منظمة، وهذا لا يتأتى للطالب إلا إذا علّمه أستاذه ذلك، وعكس العملية سيؤدي به إلى التذبذب والفشل.

ب- إحساس التلاميذ بحب المدرّس إياهم أي تشجيعه الدائم، وعدهم كأبنائه، وخوفه المستمر عليهم، ونصحه الدائم إياهم يشعرهم بالأمان والطمأنينة، ويرغّبهم في الدروس، ويبعث فيهم روح المثابرة والفوز، وإتباع النصائح عن قناعة.

ج- القدرة على حل مشاكلهم. لا بد أن يشعر الطلبة بالحماية والرعاية من قِبل أستاذهم، لأنه قدوتهم، وملجؤهم حين يحتاجون إليه. فهو المذلل صعوباتهم، حتى يتمكّنوا من بلوغ القدرة على التفوق على مشاكلهم وحلّها بأنفسهم، ولا بد له أن يدربهم على اجتياز مرحلة الخوف، والوصول إلى التحدي. ولا يمكنهم ذلك إلا إذا وضُح لهم السبيل الصحيح.

د- الحيوية والنشاط: فالأستاذ الجاد المثابر والطموح، يبعث في طلبته الحياة والعمل الدءوب، فهو يوجههم إلى أهدافهم، ويبين لهم أساليب النجاح، ولهم أن يتبعوها دون كلل، والحصة الناجحة تعود إلى الأستاذ الذي يحسن تسيير الأمور وقيادة النشء.

وحين أجرى " كليم " هذه الدراسة على أولياء الأمور، وجد أنهم اتفقوا على ست صفات للأستاذ الناجح وهي:

أ- المظهر اللائق: يختلف مظهر الأستاذ عن مظهر الفنان أو الرياضي، فالأستاذ مميز في مهنته، ومميز في مظهره، فلا هو عصري إلى أقصى حد، ولا هو مهلهل مثير للسخرية، فعليه أن يعلّم طلبته احترام العلم، وأنهم ممثلوه، ولا بد أن يمثلوا عقيدتهم الإسلامية وثقافتهم العربية وتاريخهم الحافل بالعلماء المشاهير، دون أن يسنوا التفتح بما يرضي توجهم الديني والحضاري.

ب- الشرح الجيد: للأستاذ طريقته الخاصة في بسط الدروس لتلاميذه، وكم هي كثيرة صور أساتذتنا الأجلاء، الذين تركوا فينا بصمات لامعة، حين شرحوا لنا الدروس، ولا تزال راسخة في أذهاننا حتى الآن .

ج- النشاط والدعابة: فالمزج بين الجد والهزل أمر مهم في حياة الطالب والأستاذ معا، لان مهنة التعليم شاقة والاهتمام بجانب دون آخر يجعل منها كائنا مشوها، والجمع بين هذا وذاك أمر لا بد منه.

د- السلوك القويم: لا بد للأستاذ أن يتسلح بالأخلاق الحميدة: إن هو وعد وفى، وإن عزم وصل، وإن مدح صدق، وإن وبّخ أصلح... إلخ.

هـــ-احترم الذات: على الأستاذ أن يتميز من غيره باحترام نفسه، واحترام طلبته؛ حيث لا يترك لهم المجال ليتمردوا عليه، ولا يتجاوز حدوده معهم حتى يعصون ويغضوا الطرف عنه وعن بضاعته. ولا يمكن التفريق بين التعليم والتربية لأنهما وجهان لعملة واحدة.

و- التقوى والإيمان الصحيح، والأمانة، والصدق في العمل، والتواضع، وعدم التكبّر والاحتيال، والصبر والتسامح، والحماسة للعمل، والإقبال عليه، والعفّة، واحترام الذات والخلق القويم[10]. وهذه أمهما.

**2- مدرســـة ابن رشيـــق:** في أثناء تصفحنا لكتابه العمدة، وجدناه يتبع طريقة واحدة في عرض أفكاره لقرائه (الطلبة)، فعددناها منهجا خاص بـــه في إبلاغ رسالته، المتمثلة في تعليم فنون القول للراغبين فيها، ونعرض فيما يلي أحد نصوصه لنستنتج منها طريقته في التلقين يقول: " قال أبو عثمان الجاحظ: أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجـــزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفـــرغ إفراغا واحدا، وسُبك سبكا واحدا، فهو يجـــري علـــى اللســـان كما يجري الدهان. وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لذّ سماعه، وخفّ محتمله، وقرب فهمه، وعذُب النطق به، وحلي في فهم سامعه، وإذا متنافرا متباينا عسر حفظه وثقل على اللسان النطق به، ومجّته المسامع، فلم يستقر فيها منه شيء. وأنشد الجاحظ قال: أنشدني أبو العاصي قال: أنشدني خلف:

وبعْضُ قَريضِ القومِ أبناءُ عِلَّةٍ  يُكِدُّ لِسانَ الناطق المتحفِّظِ

والناس مختلفوا الرأي في مزاوجة الألفاظ: منهم من يجعل الكلمة وأختها كقول البحتري:

تَطيبُ بمَسْراها البلادُ إذَا سَرَتْ  فَيَفْعَمُ ريَّاهاَ ويَصْفُو نَسيمُها

ومنهم من يقابل لفظين بلفظين، فيقع في الكلام تفرقة وقلة تكلف: فمن المتناسب قول علي بن أبي طالب (ض): " أين من سعى واجتهد، وجمع

وعدّد، وزخرف ونجّد، وبنى وشيّدْ فاتبـــع كل لفظة ما يشاكلها وقرنهـــا بما يشبهما ". ورأيت من علماء بلدنا من لا يحكم للشاعر بالتقدم، ولا يقضي له بالعلم، إلا أن يكون فـــي شعره التقديم والتأخير، وأنا أستثقل ذلك من جهـــة ما قدمت، وأكثر ما نجده في أشعار النحويين.

لم يَضِرْهَا والحَمْدُ للهِ شيءٌ  وانْثَنَتْ نحوَ عَزْفِ نَفْسِ ذهول

فإن القسم الآخر من هذا البيت ثقيل؛ لقرب الحاء من لعين، وقرب الزاي من السين.

ومن الناس من يستحسن الشعر مبنيا بعضه على بعض، وأنا أستحسن أن يكون كل بيت قائما بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده، وما سوى ذلك فهو عندي تقصير، إلا في مواضع معروفة، مثل الحكايات وما شاكلها، فإن بناء اللفظ على اللفظ أجود هناك من جهة السرد، ولم [ أستحسن] الأول على أن فيه بعدا ولا تنافرا، إلا إن كان كذلك فهو الذي كرهت.

حسن الشعر مطبوع ومصنوع، فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولا، وعليه المدار، والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفا تكلف أشعار المولديـــن، لكن وقع فيه هذا النـــوع الذي سمـــوه صنعة من غيـــر قصد، ولا تعمّل، لكن بطباع القوم عفوا، واستحسنوه ومالوا إليه بعض الميل، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره، حتى وضع زهير الحوليات على وجه التنقيح... فهو يضع القصيدة ثم يكرر نظره فيها، خوفا من التعقب بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة، وربما رصد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك، والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو

تقابل، فتترك لفظة للفظة، أو معنى لمعنى، كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وإبرازه وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض حتى عدوا من فضل صنعة الحطيئة حسن نسقه الكلام بعضه على بعض"[11].

من هذا النص نخلص إلى أن ابن رشيق يحدد طريقة التعليم كما يلي:

أ- على المدرّس أن يستأنف درسه بتمهيد منطقي، ويتمثل في تحديد المفاهيم العامة للدرس، حتى يضع الطالب في صلب الموضوع، كقول الجاحظ: " أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا، وسُبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجـــري الدهان ". وإذا عرف الطالب كُنه الموضوع انتقل به ابن رشيق (الأستاذ) إلى المرحلة الثانية والمتمثلة في: شرح المفهوم إن كان غامضا، والتعليق عليه سواء بطرح مجموعة من آراء العلماء، أو بإبداء رأي خاص به حتى يكون قريبا من طلبته. ويرجّح ابن رشيق تعليقا خاصا بالمدرّس فيقول: " إذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لذّ سماعه، وخفّ محتمله، وقرب فهمه، وعذُب النطق به...".

ب- يؤكد صاحب العدة على أن المفاهيم وحدها غير كافية، بل لا بد لها مما يدعّمها، وذلك بالأمثلة التي تقرّب الفهم، وتفتح كل مغلق كذكره للجاحظ على لسان شاعر:

وبعْضُ قَريضِ القومِ أبناءُ عِلَّةٍ  يُكِدُّ لِسانَ الناطق المتحفِّظِ

ج- ويضيف القيرواني أن الانفراد بالرأي لا يفيد الطالب؛ بل لا بد من الإكثار من الآراء المختلفة للعلماء حتى يتسع مجال معرفته، ولا تنغلق عليه دائرة العلم، وعلى المعلّم ألا ينحاز لعالم دون آخـــر، بل أن يذكر ما أمكنه من الآراء المختلفة، ويكون نزيها فـــي ذلك، هدفه الأسمى هو التعليم. يقـــول: " والناس مختلفوا الرأي في مزاوجة الألفاظ: منهم من يجعل الكلمة وأختها، ومنهم من يقابل لفظين بلفظين ...".

د- ولا ينسى ابن رشيق في كل نقطة أن يدعّم ما يذهب إليه بالحجة البيّنة، يقول على لسان البحتري:

تَطيبُ بمَسْراها البلادُ إذَا سَرَتْ  فَيَفْعَمُ ريَّاهاَ ويَصْفُو نَسيمُها

وعلى لسان علي بن أبي طالب (ض): " أين من سعى واجتهد، وجمع وعدّد، وزخرف ونجّد، وبنى وشيّدْ فاتبع كل لفظة ما يشاكلها وقرنها بما يشبهما ".

هـــ- وينبّه إلى قضية تكافؤ الفرص في الاستشهاد، فلا يمكن للمدرس أن ينحاز للعلماء القدامى ولا المحدثين، بل عليه الانتقاء من هؤلاء وهؤلاء حتى يكون للطالب فكرة شبه كاملة عن الموضوع. يقول: "والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل، فتترك لفظة للفظة، أو معنى لمعنى، كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وإبرازه وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض حتى عدوا من فضل صنعة الحطيئة حسن نسقه الكلام بعضه على بعض".

و- ويعد ابن رشيق أن في تلاحظ العلوم فائدة كبيرة: كعلم الأصوات من مخارج وغيرها – في هذا الموضع – وعلم الصرف من ألفاظ وما يقابلها، وعلم النحو من تقديم وتأخير، وعلم البديع من تزيين أطراف الكلام وأطراف المعاني، يقول: " [ينظر] العرب في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وإبرازه وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض حتى عدوا من فضل صنعة الحطيئة حسن نسقه الكلام بعضه على بعض" .

وبهذا يرسم ابن رشيق طريقة مثلى للأستاذ كي ينجح في تقديم مادته العلمية إلى متعلّميه وهو ما لا يستغنى عنه علماء التربية في العصر الحديث؛ إذ يعلمون الطالب تعدد الآراء والاستشهاد بالأدلة والبراهين يمزجون- مثلا – في مقياس الفلسفة آراء كثيرة لعلماء من مختلف الثقافات والمعتقدات؛ إذ لدراسة موضوع " الحرية " فقط يستشهد الأستاذ لطلبته بآراء علماء مسلمين (كعلي بن أبي طالب والغزالي...إلخ)، وآخرين غربيين (كسارتر و إميل دور كايم ...إلخ)، حتى يعلم الطالب مدى ثراء العلم، واشتراك العلماء في تناول الفكرة الواحدة بالتحليل والتدقيق، دون الانحياز إلى هذا أو ذاك، بل كلهم علمـــاء يحاولون الاجتهاد من أجل العلم لا غيـــر. و حين يتكلمون عن التدرج في تناول الأفكار في مقياس النحو، استأنفوا ذلك بإعطاء مفهوم عام للموضوع كتعريف الفصل والوصل، ثم إعطاء أمثلة عن ذلك كثيرة ومتنوعة، ثم شرحها، واستنتاج القاعدة بعد أن يُستوفى الشرح والمقارنة بين مختلف الأمثلة المُعطاة... إلخ .

**3- مدرسة ابـــن خلدون:** تحدث في مقدمته عن موضوعات متعددة ، تهمّ المعلم والمتعلم على حد سواء، وفيما يلي نص له يوضح يه كيفية تعامل

المدرس مع المادة التعليمية، كي تصل إلى أذهان الطلبة سليمة وصحيحة، يقول: " اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج. يُلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، يقرَّب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويُراعى في ذلك قوة عقله، واستعداده لقبول ما يرد له ملكة ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأت لفهم الفن، وتحصيل مسائله. ثم يُرجع به إلى الفن ثانية، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هناك من الخلاف ووجهه، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن ، فتجود ملكته، ثم يرجع به وقد شدَّ، فلا يترك عويصا ولا مهما ولا مغلقا إلا وضّحه وفتح له مقفله، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته. هذا وجه التعليم المفيد "[12].

من أجل نجاح الأستاذ في تبليغ رسالته إلى متعلّميه، يجعل ابن خلدون شرطا مهما هو التدريج؛ إذ لا يمكن إلقاء المعلومات أو البرامج دفعة واحدة، أو بطريقة عشوائية، لا تخضع للتنظيم والدراسة المحكمة، فالتخطيط ضرورة لابد منها، لأن الفن – كما يذهب ابن خلدون– لا بد له من خبير يدرّسه، ويُنْعِم النظر فيه، ويخرجه بما يتناسب مع قدرات المتعلم العقلية والنفسية، حتى ينسّق برنامجه الدراسي وفقها، ويتدرج به من البسيط إلى المركب، ومن السهل إلى الصعب.

ينبه علماء النفس التربويين غلى مسألة التدريج؛ فعدّوها مسلكا ناجحا للمعلم، وقسموها إلى مراحل: التدرّج من البسيط إلى المركب (كالجملة الاسمية المتكونة من مبتدأ وخبر مفردين، بعدها المبتدأ والخبر المركبين

كتكون الخبر من جار ومجرور أو ظرف زمان أو مكان وهكذا ...إلخ)، ومن السهل إلى الصعب فالأكثر صعوبة (كتدريب الطالب على فهم النصوص العلمية الخالية من التأويلات إلى النصوص الأدبية التي تحتاج إلى بعض نظر وتحليل عميق)، ومن المحسوس إلى المجرّد (كالبدء بالحقيقة ثم التطرق إلى المجاز لأنه أكثر تعقيدا منها)، ومن المعلوم إلى المجهول (كالتطرق إلى الجملية المبنية للعلوم ثم المبنية للمجهول التي تجتاح إلى أكثر تأملا وتأويل) ، ومن الأمثلة إلى القاعدة، ومن الكل إلى الجزء (كفهم الفكرة العامة من النص ثم التدرج إلى الأفكار الأساسية واحدة تلو الأخرى[13]. وينبه ابن خلدون – قبلهم – الأستاذ إلى تقسيم الفن إلى عدة أبواب، وكل باب إلى عدة مسائل، وإلقاء هذا الأخير على عدة مراحل، وتوضيحه كما يلـــي:

أ- إلقـــاء مسائل من كل باب هي أصول فيه؛ إذ لابد أن يملي الأستاذ البرنامج على طلبته أولا، فيناقشهم فيه إجمالا، ليختبر معلوماتهم المسبقة عنه. وتكون أول حصة من الدراسة بمثابة الاختبار الذي يقيّم من خلاله أذهانهم، والطريقة التي يجب التعامل بها معهم إن كانوا متفوقين أو متوسطي التفوق، وتكون المناقشة عامة تشكل كل محاور البرنامج، للتعرف على المادة أولا، والاستعداد النفسي والعقلي إلى الخوض في غمارها طيلة العام الدراسي ثانيا.

ويذهب علماء النفس المحدثون إلى أن أهم نظريات التعلم : نظرية المجال **Théorie du champ**، التي يعدّ أصحابها اجتماع كل العوامل أمرا مهما في التعلم ، فلا يمكن أن ينفصل جزء منها عن الآخر، وأن اجتماعها على منوال واحد يعطي المجال صورته وشكله الكامل ن وأن كل تبديل في أحد تلك

العوامل يغيّر من صورة المجال الحقيقية، وعلى ذلك فمن العبث عند التعلّم تحليل الوضع، بل علينا النظر إليه ككل متماسك[14]. وإذا ضربنا مثالا عن هذه النظرية فإن الطالب بحاجة إلى معرفة الصورة الكاملة عن مادة علم الدلالة عامة، ثم هو بحاجة إلى معرفة مأتاها؛ إذ هي فرع من فروع اللسانيات، حتى لا تختلط عليه العلوم لقربها الشديد بعضها ببعض، ثم عليه معرفة بوادرها الأولى عند علماء العربية، ثم كيف تناولها علماء الغرب، وإذا حُدِّدت مفاهيمها العامة، وأُعطِيت صورتها الكاملة، ومدى التقائها مع بقية المواد، استطاع الطالب أن يفقه ما نوع المادة التي يدرُسها فيزيد بذلك استيعابه مختلف أقسامها. فمن دون هذا التمييز لا يمكن له مواصلة الدرس، إذ إن بعض الطلبة أو جلهم يدرس المواد موزعة مشتتة لا يعرف الفرق بينها وبين غيرها، وربما أصابه الملل وعدم الرغبة في متابعة الدروس، وأصابه التشتت الذهني عندما يلقى شبها أو تقاربا بين مادة وأخرى، وكأنه يعيدها ذاتها، فيصاب بالحيرة وعدم التركيز. لذا وجب رسم صورة كاملة للطالب عن المادة لكشف لثام الغموض عنه.

يعدّ ابن خلدون أن الملكة في هذه المرحلة تكون ضعيفة وجزئية، لكنها مهمة وضرورية لا يمكن حصول الملكة دونها، وأنها بمثابة لقاء التعارف بين الأستاذ وأذهان الطلبة.

ب- تكرار العملية أمر واحد لديه من بداية الفن إلى نهايته. لكن تميّز هذه المرحلة من سابقتها يكمن في التركيز والشرح والإيضاح والتوقف عند دقائق الأمور، وبسطها، ومقارنتها بما يخالفها حتى تتميز منها، وتستقل عنها في أذهان الطلبة، فيتم كشف الخلط الذي يعتريها لديهم. هذه العملية تكون على

مدى مراحل السنة الدراسية؛ درسا تلو الآخر، وعلى الأستاذ أن يقف عند كل درس، وعند كل نقطة منه، ليزيد استيعاب الطلبة إياه، وتكون معلوماتهم أوسع مما زوّدهم به في بداية العام، والفرصة سانحة لهم أيضا بالاستفسار والمناقشة والتعاون فيما بينهم من ناحية، لأنهم حضّروا للدرس من قبل الموعد، وعِلمهم بكنهه، وبين الطلبة والأستاذ من ناحية أخرى لأنه محور عملية التعليم، فهو المرشد والموضح كل غموض.

وقد تناول هذا الموضوع علماء النفس، ووضعوا نظرية أخرى للتعلم سمّوها نظرية الترابط **Théorie de l'association**. يقول أصحاب هذه النظرية بعملية التحليل الجزئي؛ أي فك الشكل العام إلى عدة عوامل، فيدرَّس كل عامل على حدة[15]. وبعد عملية التفكيك تتم الدراسة الجزئية لكل قسم؛ أي تقسيم البرنامج إلى عدة دروس، وتحليل كل درس على حدة، تفكيكا ومناقشة وفهما جيدا.

ودعما لذلك نجد علمـــاء النفس التربويين ينبهون إلـــى أن الأستاذ الناجح لا بد له أن يتّبع الطريقة التالية في حصته:

- صياغة الأهداف [المرجوة من الدرس أول الحصة].

- تلخيص محتويات الدرس في نقاط على السبورة.

- المراجعة في نهاية كل درس وبداية الدرس اللاحق له[16]. وعليه فتكرار هذه العملية في كل حصة ، يجعل الطريقة معلومة لدى الطلبة، فهم يتوقعون مراحلها، ويحضّرون لها مسبقا: نفسيا وذهنيا، فهم – إن استطعنا القول – مجهّزون آليا لها، فيصبحون كمسيرين حقيقيين للحصة، وتدريب الطلبة على

التخطيط والتنظيم والاستعداد، وهو البناء الحق لأذهانهم، والابتعاد بهم عن العشوائية والفوضى.

ج- المرحلة الأخيرة من التلقين عند ابن خلدون، هي مرحلة الملكة الحقّة، أو ما يسميه بـــ " وجه التعليم المفيد "، وتتميز بالعودة مجددا إلى تكرار العملية من بدايتها إلى نهايتها، وهي ما يعرف لدينا بالمراجعة العامة؛ إذ يسعى المعلّم إلى اختبار ما استحوذت عليه أذهان الطلبة، فيصحح مفاهيمهم، ويختبر معلوماتهم من خلال التمارين الكثيرة، والمعقدة حتى يكشف عن معضلاتهم فيهوّنها ويمحوها ، ويحصل بذلك استيعابهم للمادة فهما وحفظا من ناحية، واطمئنان الأستاذ لأدائه مهمته من ناحية أخرى، فتحصل الفائدة لكليهما .

ومنه فابن خلدون لا يعترف بانفصال كل نظرية عن النظريات الأخرى، بل ينبه إلى ضرورة تكامل كل النظريات من أجل هدف واحد هو حصول التعليم المفيد. فاجتماع جهود العلماء ووجهات نظر كل واحد منهم أمر لا بد منه لخدمة العلم بالدرجة الأولى.

**الخلاصـــة:** من خلال ما سبق نقول: إن كلا من ابن المقفع وابن رشيق وابن خلدون سعوا إلى وضع منهج تعليمي يسهم في نجاح رسالة المعلّم؛ فإذا كان الأول قد وضع شروطا خاصة وجب توفرها في الأستاذ كي يبلّغ مهمته التعليمية، فقد وضع الثاني والثالث سبيلا منظّما لحصول المعرفة المفيدة، فكل منهم مدرسة تكمل الأخرى، وهذا هو فن التعليم بعينه.

ومنه يمكننا القول: إن الأستاذ الناجـــح لابد لـــه من الاطـــلاع على كل ما تعلّق بالتعليم، سواء عند علمائنا القدامى الذين تخصصوا في ميدان التعليم، أمثال ابن خلدون في " المقدمة "، أو ابن رشيق في " العمدة "، أو ابن قتيبة في " أدب الكاتب " ، أو سيبويه في " الكتاب " ...وغيرهم، أو علماء النفس والتربية المحدثين، والإلمام بشتى النظريات التي تساعده على استيعاب الطلبة، وكيفية التعامل معهم من دون النسيان بأنهم مختلفون في قدراتهم وسلوكهم. الأمر الذي يسهّل عليه إيصـــال مادته المعرفية دون حواجـــز، كما أن لعلم الاجتماع دورا مهما في إمداد الأستاذ بكمية هائلة من المعلومات التي تفتح أمامه مختلف المستويات عند الطلبة (محدودي الدخل أم أغنياء، ماكثون بالأرياف أم بالمدن ... إلخ) من دون أن ننسى نظريات الاتصال التي توفّر له وسائل تمكنه من المحافظة على حبل التواصل بينه وبين طلبته. والأمر الواجب التنبيه إليه هو شخصية الأستاذ؛ إذ هو محور عملية التعليم، ولا بد له من أساليب خاصة تساعده في أداء مهمته النبيلة، وقد حددها العلماء في نقاط عدة أهمها: المظهر اللائق، والحيوية، والنشاط، واحترام الذات، والتقوى، والإيمان الصحيح، ومراعاة الفروق الفردية بين الطلاب، وطريقة عرض المعلومات. والأهم من كل هذا وذاك مراعـــاة المثل القائـــل " لكل مقام مقال ".

## الهوامـــش:

[1]– الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق درويش جويدي، ج1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، سيدا ، بيروت، 2003، ص 79.

[2]– أنظر: محمد الحناش، البنوية في اللسانيات، الحلقة الأولى، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1988، ص 192، نقلا عن محـــاولات في علم اللغة العام، ط1963، ص 214.

[3]– بشير معمرية، مظاهر السلوك اللاتوافقي لدى التلاميذ المتأخرين دراسيا من وجهة نظر المعلمين والأساتذة، دراسة ميدانية بمدينة باتنة، مجلة منتدى الأستاذ، إصدار المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة، الجزائر، ع1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، أفريل 2005، ص9.

[4]– ابن خلدون، المقدمة، ضبط وشرح وتقديم محمد الاسكندراني، (دط)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2006، ص 496.

[5]– ابن قتيبة، أدب الكاتب، اعتنى به وراجعه درويش جويدي، ط1، المكتبة العصرية صيدا بيروت، 2002، ص 19–20.

[6]– بشير معمرية، مظاهر السلوك اللاتوافقي لدى التلاميذ المتأخرين دراسيا من وجهة نظر المعلمين والأساتذة، مرجع سابق، ص 10.

[7]– أنظر: فؤاد حسن أبو الهيجاء، أساسيات التدريس مهاراته وطرقه العامة، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2001، ص 182–183–184.

[8]– أنظر: فؤاد حسن أبو الهيجاء، أساسيات التدريس ومهاراته وطرقه العامة، مرجع سابق، ص 23–24.

[9]– أنظر: سيكولوجية التعليم بين النظرية والتطبيق، ص 154–155–156، نقلا عن المرجع السابق.

[10]– أنظر: المرجع نفسه، ص 31–32–33.

[11]– ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، ط5، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، 1981، ص 255–258–261–262–129.

[12]– ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص 490.

[13]– أنظر: فؤاد حسن أبو الهيجاء أساسيات التدريس ومهاراته وطرقه العامة، مرجع سابق، ص 23.

[14]– أنظر: حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (دت)، ص 172.

[15]– انظـــر: حنفي بن عيســـى، محاضرات في علم النفس اللغـــوي، مرجع سابـــق، ص 171.

[16]– أنظر: محمود مسني، علم النفس التربوي للمعلمين، دار المعرفة الجامعية، الأزريطة، مصر (دت)، ص 385.